اليمنيون القدماء

تاريخهم:

أوّل من زار اليمن من الرحالة الأجانب هو اللفتنانت Carsten Niebuhr من سنة ١٧٦١ حتى سنة ١٧٦٧ وهو وإن لم تكن لديه الفرصة لكتابة النقوش إلّا أنه بيّن الخرائب الحميرية وأمكنة النقوش على خريطته المنشورة فى:

Beschreibung von Arabien, Kopenhagen 1772.

ص ٩٤، فى: Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umbiegenden Landern 1774 - 1837.

ص ٤٠٠، ٤٠٩، ٤٢٧.

وخرج دكتور Seetzen فى سنة ١٨١٠ ليبحث عن النقوش التى ذكرها Niebuhr وقد وجد حقًّا ما اكتشفه Niebuhr من الخرائب ونقل من العاصمة الحميرية القديمة ظفار أوّل نقوش يمنية قديمة وهى عبارة عن خمس قطع صغيرة مبهمة وقد قتل فى هذه الرحلة.

وقام الإنجليزيّان Cruttenden, Hulton سنة ١٨٣٦ برحلة إلى صنعاء وقد مات Hulton فى طريق العودة ولكن Cruttenden استطاع أن يظهر ما شاهده والفوائد التى اكتسبها من الرحلة من بينها خمس قطع من نقوش سبئية نسخها من صنعاء وقد نشرها فى: Charles Cruttenden Narrative of Journey from Mokha to a Journal of the London Roy. Geogr. Soc. 1838, Vol. 8, P.

267 ff: Journal of an excursion to San in Proceed of the Bomboy Geogr. Soc. 1838, P. 39 ff. Ritter, Erdkunde S. 74 ff.

وعرفت كذلك الأرض الواقعة بين الأصلية وحضرموت عن طريق روّاد الساحل من الإنجليز فاكتشف اللفتنانت Wellsted سنة ١٨٣٤ حصن الغراب على الساحل الشرقى بال ـ حاف Bâl – hâf ووجد على الصخور السوداء حيث بنى الحصن بعض النقوش منقوشةً على الحائط الصخرى، وبين هذه النقوش نقش حصن الغراب المشهور المكون من عشرة سطور كبيرة وهو مؤرخ فى سنة ٦٤٠ = ٥٢٥ م. وهو أوّل نقش كامل طويل عثر عليه وهو منشور فى Corpus تحت رقم٦٢١ وفى:

Repertoire d'Epigraphie Semetiques R. E. S. 2633.

ثم اتجه إلى ميفعة الغربى وهو شمال خليج قبة العين حيث وجد هناك بقية حصن أو مدينة تؤدى إلى كتلة حجرية كبيرة منقوبة بانتظام ويسمى هذا المكان: نقب الحجر وهذا الاسم ثانوى فالاسم القديم هو ميفعة وهو موجود فى نقش بناء يسمى بنقش نقب الحجر. وتستعمل هذه التسمية حتى الآن فى هذا السهل. وأخبار هذه الرحلة والنقوش التى وجدت فى الأمكنة المذكورة من قبل منشورة فى كتاب: Wellsted, Travels in Arabien, 1838. وهو فى مجلدين ونقوش حصن الغراب منشورة فى المجلد الثانى. وقد درس العالم Rödiger هذه النقوش فى كتابه Wellsted, Reisen in Arabien وهو فى مجلدين وقد صدر فى Halle سنة ١٨٤٢.

وصار من المعروف من خلال هذه الرحلات أنه يوجد خلف صحراء بلاد العرب الساحل الجنوبى المغلق أراض واسعة خصبة وقد كانت فى قديم الزمان على جانب عظيم من الحضارة.

وسافر Wolf سنة ١٨٣٦ من المخا إلى صنعاء كما سافر Botta فى سنة ١٨٣٧ ولكنهما لم يعثرا على نقوش.

وابتدأت الدراسات الحقيقية للنقوش فى هذا التاريخ وذلك بواسطة العالمين الألمانيين Rödiger, Gesenius فقد نشر Gesenius : Ueber die Himjaritische Sprache und Schrift. وذلك فى Allg. Literaturzeitung juillet 1841, Halle. Rödiger, Versuch über die Himjartischen Schriftmonumente. Halle 1841

وأسعد الحظ الأجزجى الفرنسى Arnaud إلى الوصول إلى مأرب سنه ١٨٤٣ وقد جمع ٥٦ نقشاً نسخها من صنعاء وصرواح ومأرب وسلّمها إلى القنصل الفرنسى فى جدَّة Fresnel الذى كان يدرس من قبل بعض اللهجات اليمنية القديمة فى ناحية ظفار ومرباط التى كان يرى أنها من بقايا لغة النقوش ودرس هذه النقوش وترجمها إلى الفرنسية ونشر هذه المجموعة من النقوش فى المجلات العلمية. ويعدّ هذا العمل أوّل أثر حقيقى من البلاد السبئية القديمة.

Arnaud, Relation d'un voyage à Mareb (Sabs) dans l'Arabie Meridionale, J.A 1845, 4e ser. T.5., P. 211–245 Fresnel, Recherches sur les inscriptions Himyariques de Sana'â Kariba Mareb etc.

J.A. 4e ser, T. 6., P. 169 - 237.

واقتنى الأميرالاى الإنجليزى Coghlan فى سنة ١٨٦٠ من العرب مجموعةً جميلةً من اللوحات البرنزية السبئية. وحوالى هذا الوقت دخل فى حوزة المتحف البريطانى بعض الأحجار وبعض قطع من النقوش الأخرى وتبلغ هذه المجموعة ٤٠ قطعة. وهذه اللوحات عدا لوحة واحدة هى من معبد قديم فى عمران شمال غربى صنعاء، وهى عبارة عن قرابين مقدمة من أناس مخصوصين إلى مقام الإله المقه وتدل على شهادات الاخلاص للخدمة الإلهية فى ذلك الوقت. ومنها نقش Osiendér رقم ٢٩ من شبوة فى حضرموت. وهو عبارة عن تقديم هدية للإله سين.

وأوّل من درس هذه المجموعة العالم الألمانى Ernst Osiander وقد عالج نقوش Arnaud من قبل غير أنه مات سنة ١٨٦٤ إلاّ أنه شرح النقوش التى تعرض لها من قبل شرحاً قيّما كاملاً.

Ernst Osiander; Zur himjarischen alterchumskunde, ZDMG. 16, B.D. 1856. S. 17-73.

Zur Himjarishchen Alterchumskunde, ZDMG. 19. Band 1856. S. 159–293; Band 20, 1866, S.205-287.

ولما ابتدأ فى سنة ١٨٦٩ نشر Corpus inscriptionum Semiticarum. فى باريز كلفت الأكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون الجميلة المستشرق الفرنسى Joseph Halèvy أن يقوم برحلة إلى بلاد اليمن ليجمع منها النقوش فتزيًّا بزىّ يهودى فقير وجال فى سنة ١٨٧٠ بمساعدة يهود اليمن فى أصعب المناطق اليمنية غير المطروقة من قبل وقد خرج من صنعاء إلى نواحى الجوف فى اتجاه معاكس لطريق غزوة القائد الرومانى Aelius Gallus حتى بلدة نجران الشمالية حيث رسم فى سهل نهر خصب جدًّا خرائب نجران القديمة واتجه نحو الجنوب إلى مأرب صرواح وعاد ثانيةً إلى صنعاء. وبالرغم من مشقّة السفر وخوف العرب منه والشكوك التى حامت حوله لبحثه عن الآثار القديمة التى تعد كإهانة عظيمة لسكان البلاد وكذلك عُدَّ تطفّلاً منه، ومع ذلك فإنه قد جمع ٦٨٦ نقشا منها خمسة عشر نقشاً كانت معروفة من قبل وذلك من سبعة وثلاثين مكاناً مختلفاً.

ودرس Halévy هذه النقوش وترجم منها ما استطاع ترجمته فى:

Rapport sur une inscription archéologique dans le Yemen, J.A. Serie 6 Tome 19, P. 1–98.

كذلك Inscriptions Sabéennes. فى نفس المرجع ص ١٢٩ ـ ٢٦٦

Traduction partielle et provisoire des inscriptions P. 489-547

ونشر Halévy سنة ١٨٧٣:

Etudes Sabèennes Examen critique et philologique des inscriptions sabèennes connues jusqua ce jour, J.A. Serie 5. في مجلد ٢ ص ٣٠٥ ـ ٣٦٥، ص ٣٨٨ ـ ٣٩٣ كما نشر Voyage au Nedjran في Bartielle de la Societé de Géographie, serie 6, Tome 6, P ٥-٣١، ٢٤٩-٢٧٣، ٥٨١-٦٠٦.

ونشر سنة ١٨٧٤ السلسلة الثانية Etudes Sabèennes في J.A. مجلد ٤ ص ٤٩٧-٥٨٥.

ونشر سنة ١٨٧٧ السلسلة الثانية من Voyage au Nedjran تحت عنوان (من صنعاء إلى نجران) في مجلة الجمعية الجغرافية المجموعة السادسة مجلد ١٣ ص ٤٦٦-٤٧٩.

وليس المعنى العلمى لهذه الرحلة مقصورًا فقط على النقوش التى أحضرها ولكنه نقل إلى ضوء النهار حضارةً قديمةً تامةً ولغةً كانت مجهولةً حتى ذلك الوقت ففى الأماكن الخصبة الواقعة حول نهر الخارد فى الجوف العربى الجنوبى شمال شرقى صنعاء اكتشف هاليفى آثار حضارة قديمة فى بقايا العمائر الشامخة والمدن الكاملة المخربة الواقعة على التلال الحصينة.

وكانت هذه الخرائب كما دلّت بعد ذلك النقوش التى نسخت من هناك من خرائب المملكة المعينية.

وكانت النقوش التى عرفت قبل ذلك من آثار المملكة السبئية ومكتوبة باللغة السبئية إلّا بعض نقوش قليلة من حضرموت مكتوبة باللهجة الحضرمية.

ولم يجد هاليفى فى كل مكان حصونًا وأسوارًا وبروجا مغطاةً بالنقوش فقط،

ولكنه وجد أيضاً فى الداخل هياكل ثمينة غنية بالأعمدة والألواح المزخرفة، كما تشير ربوة من الأطلال على أنها كانت من أمكنة العبادة الهامة، وكانت على العموم ممتلئةً بأطلال المعابد والأعمدة المقلوبة وألواح الهياكل وقد استطاع هاليفى أن ينسخ من هناك ١٥٤ نقشًا، وهذه الأطلال ناشئة من المدينة التى هى الآن عبارة عن قرية بسيطة تعرف باسم براقش وتحمل اسم يَثِل فى العصور القديمة وقد كانت مدينةً من أهم مراكز الحضارة المعينية.

كما وجد فى مدينة أخرى تعرف الآن باسم إسّودا مدينةً قديمةً صناعيةً عظيمةً غير أنها مطمورة الآن فى التراب. فإن النقوش التى نسخها من هناك وعددها واحد وسبعون نقشًا تدل على عظمتها وسيادتها وقوتها.

غير أن أعظم أطلال لمدينة هى أطلال العاصمة المعينية القديمة قرناو Kafnau وتسمى الآن معين وتقع على تلٍّ حصين طوله ٢٨٠ مترًا وعرضه ٢٤٠ مترًا ومحاطة بسور دائرى متين به أبراج وأسوار متوازية، وقد نسج هاليفى من على هذا السور ومن على أبينة أخرى ثمانين نقشًا.

وحول هذا الوقت الذى كان هاليفى فيه يجول فى جنوب بلاد العرب بواسطة الجماعات اليمنية اليهودية صارت بلاد اليمن من سنة ١٨٧٠ حتى الحرب العظمى الأولى ولايةً تركيةً خاضعةً للسيادة التركية. غير أن هذا التغيير لم يشمل فى واقع الأمر إلاّ مدينة صنعاء التى كانت مقرًّا للجنود التركية وكذلك ميناء الحديدة وميناء صنعاء. أما بقية اليمن فقد كانت تابعةً للترك بالاسم ولكنها فى الحقيقة كانت مستقلة كما كانت من قبل ولم تمتد سلطة الأتراك أكثر من بضع كيلو مترات حول صنعاء وكان العرب غير مسالمين فى الداخل ضد الأجانب. وقد وقعت عدّة وقائع دموية بين الأتراك والقبائل العربية المستقلة التى تعشق الحرية، لذلك كانت أماكن النقوش غير سهلة الارتياد للأوربيين.

ولم تجن العلوم أية فائدة، فرحلة Maltzan إلى عدن سنة ١٨٧٠ ـ ١٨٧١، وإقامة Manzonis فى اليمن التركى سنة ١٨٧٧-١٨٨٠ لم تأت بنتائج خطية، غير أن Maltzen ألقى النور على دراسة لهجة عربية جنوبية هامة وهى اللهجة المهرية من ناحية Mahra شرق حضرموت، وهذه اللهجة ترجع إلى لغة النقوش الحضرمية كما أنها دلّت على أنها حافظت على بعض الصيغ السبئية الحميرية.

Heinrich Freiherr Von Maltzan: Ueber den Dialekt Von Mahra, genant Mehri, in Sudarabien ZDMB, Bd. 25, 1871 S. 186–214.

Dialktische studien über das Mehri im Vergleich mit verwandten, ZDMG, Bd. 27, 1873, S. 225–231.

Arabische Vulgärdialekte, ZDMG, Bd. 27, S 244–294.

Reise nach Südarabien (1870) und geographische Forschung in und über den südvestlichen theil Arabiens, Braunschweig, 1873.

وكان الموظفون الأتراك يشترون فى أثناء ذلك من وقت لآخر آثارًا كان يجلبها العرب إلى صنعاء، وقد أرسلوا إلى المتحف التركى بالقسطنطينية مايقرب من خمسين نقشًا أغلبها قطع من نقوش وقد نشرها المستشرقان:

Dr. F. h. Müller, Dr. J. H. Mordtmann.

Sabäische Denkmäler, Wien 1883.

ونشرها أيضًا فى:

Musée Impérial Otoman, Antiquités himyarites et palmy–riniennes. Catalogue sommaire Constantinople , 1895

ويوجد فى هذا الكتالزج مائة واثنان وخمسون نقشًا. وأغرى ارتفاع قيمة هذه الآثار السكان على تقليد وصنع آثار لبيعها للمشترين الذين وقعوا تحت هذا

"لاحتيال المستمر مدّةً طويلةً من الزمن، ومن هؤلاء المزيفين نجار صنعانى أدار تجارةً رائجةً لهذه الآثار وقد باع كثيراً من مزيفاته غير أن المتخصصين الذين درسوا نقوش القسطنطينية عرفوا هذه الآثار المزيفة وكذلك عرف كل من Praetorius, Levy كثيرا من النقوش المزيفة بين النقوش المنشورة من قبل التى اقتناها Prideaux Miles وكذلك بعض نقوش متحف بومباى التى نشرها Rehetsek فى مقالته:

Twelve Sabaean Inscriptions, Bombay Branch of the R. As. Soc. 9 (1874) P. 139 - 149.

كذلك اشترى متحف اللوفر بعض النقوش المزيفة وردّت فيما بعد إلى أربعة نقوش أصلية من مجموعة Glazer واستؤنفت مرةً ثانيةً فى السنوات العشر التالية رحلات جمع النقوش حيث طلبت الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٨٠ من المستشرق النمساوى Eduard Glaser أن يجمع النقوش من اليمن فسافر إلى تونس ومصر ليلمّ باللغة العربية وبالعادات الشرقية، وبينما كان يستعد للسفر إلى بلاد اليمن أرسلت دوائر الاستشراق فى فيينا المستشرق الشاب .Siegfried Langer إلى بلاد اليمن ليجمع النقوش أيضًا، وبعد إقامة قصيرة بين عرب سوريا أبحر إلى جدّة وقُنفذة حيث سافر مع الأتراك من هناك إلى الحديدة واتجه بعد ذلك إلى صنعاء، وأثناء الطريق فى الأرض الحميرية القديمة وجد بالقرب من ظَوران نقشاً حميريًّا كبيرًا وهو معروف باسم نقش Langer رقم ١. كما نسخ من بين الخرائب الحميرية الموجودة بالقرب من المدينة الصغيرة ضاف النقوش التى أشار إليها Niebuhr وقد بحث عنها بلا جدوى المستشرق Seetzen وهى عبارة عن نقوش Langer من رقم ٢-٩ وأمكنه فى صنعاء أن ينسخ النقوش من ١٠-١٣ ولكن الأتراك لم يأذنوا له بالتجول داخل البلاد وأرسلوه ثانيةً إلى الحديدة حيث ذهب منها إلى عدن حيث نسخ النقوش ١٤ ـ ١٨ ، وحاول على مسئوليته وهو متزى بالزى

العربى أن يصل إلى الخرائب فى الداخل ولكنه ذبح من مصطحبيه بعد أيام قليلة من سفره من عدن.

ومجموع النقوش التى حصل عليها Langer فى كل رحلاته هى عبارة عن اثنين وعشرين نقشًا وقد أرسلها قبل أن يموت إلى أوربا ونشرها المستشرق Müller بعد موته بقليل: Sabäische Inschriften entdeckt und gesammelt von Siegfried Langer. ZDMG 38 (1883) S. 319 – 421.

وفى نفس السنة التى ذهب فيها Langer قربانا للعلوم وصل Glaser إلى صنعاء وقد ظلّ لدى الأتراك وقتا طويلًا من الزمن لأن نهاية Langer المحزنة جعلت الأتراك يخافون على الرحالين وعلى حياتهم ولكنه سرعان ماواتاه الحظ برضى كبار موظفى الأتراك عن خططه فقام بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٨٨٤ بثلاث رحلات إلى بلاد اليمن الشمالية وصاحب فى الرحلة الأولى حملةً عسكريةً كانت متجهةً إلى مدينة سُودا لفتحها وإخضاعها، وبعد حروب يومية مع قبائل صنعاء المعادية المرابطة فى الشمال الغربى وصلوا إلى سُودا ثم قفلوا راجعين. وقام بعد ذلك Glaser تحت حماية الأسلحة التركية مع بعض الأدلاء اليمنيين برحلة فى أنحاء همدان وشيام وكوكبان وحَجّة وعمران للبحث فيها عن الخرائب ونسخ من هذه الأمكنة بعض النقوش.

وأخيرًا فى أثناء المعارك الدموية التى قامت بين القبيلتين الشقيقتين حاشد وبكيل اللتين نجدهما كثيرًا فى النقوش، استطاع الحاكم التركى بحيلة أن يكون حكماً بين الجانبين المتنازعين، وأرسل Glaser إلى حاشد سنة ١٨٨٤ مع شيوخ من أرحب وقد حاولوا كثيراً من المرات قتله ولكنه نجا من كل هذه الأخطار، واستطاع بعد هذه الرحلة الأخيرة أن يرسل إلى الأكاديمية الباريسية ماجمعه فى هذه الرحلة، وهو عبارة عن أربعة نقوش من الحجارة، ٢٨٠ نسخة من النقوش

وهى التى نشرها فيما بعد H. Derenbourg فى Corpus كما أنه دون ملاحظات جوية وفلكية لأنه كان يشتغل فى الأصل بعلم الفلك. كما أخذ ملاحظات طبوغرافية ولعلم خصائص الشعوب وعلم الخرط مع مذكرات يومية يكتبها أثناء هذه الرحلات.

وترك Glaser سنة ١٨٨٥ أوروبا ثانيةً وقام برحلة لحسابه وعلى مسئوليته فى الأنحاء التى بين عدن وصنعاء واضعاً نصب عينيه الخرائب التى ذكرها Nibuhr بالقرب من ضمار ويريم، وزار ظفار الحميرية القديمة وخرج من يريم فى الاتجاه الشمالى الشرقى إلى رداع، وقد حصل فى هذه الرحلة على سبعة وثلاثين نقشاً أغلبها نقوش معينية من ناحية الجوف والكتابة محفورة فى الأحجار وقد أهداها إلى المتحف البريطانى، وهى تعد أول مجموعة نقوش معينية عظيمة وصلت إلى أوربا بعد نقوش Halévy وقد نشرها Corpus فى H. Derenbourg. كما نشرها أيضاً ١٥٠ نقشاً. ولم تفسر هذه النقوش المعينية إلّا تفسيراً تقريبيًّا فى ذلك الوقت وقد نشرت فى:

Hartivig Derenbourg: Yemen Inscriptions, the GlaserCollection in the Babylonian and Oriental Record, 1887, Vol. 1, P. 167–180

وقام Glaser فى سنة ١٨٨٧–١٨٨٨ برحلة قاصداً مأرب عاصمة سبأ القديمة ولكى يصل إلى هذه المناطق الخطرة ارتدى زى فقيه وسار مع بعض أصدقائه من أهل البلاد وكان من بينهم شريف من مأرب، وبرغم ماتعرض له من أخطار فقد وصل إلى مأرب واستطاع أن يبقى فى هذه المدينة المخربة ستة أسابيع ورجع ثانيةً إلى صنعاء. ويعدّ هذا فى الواقع عملاً جديراً بالإعجاب من رجل أوربى. وصور جلازر من مدينة مأرب بقايا مجموعة القنايات القديمة بسدودها الجبارة التى كانت فى أيامها القديمة مصدر خصب الأراضى التى كانت عبارة عن ثروة سبأ، وقد نسخ

النقوش التى على السدّ والهيكل الجبار الذى يبلغ قطره ثلاثمائة خطوة والذى مازال مرتفعاً فى الصحراء حتى اليوم كرمز للعظمة الآفلة بعد آلاف السنين، وكتب جلازر أيضاً النقوش التى غطتها الرمال وقد كتبها بعد أن نظفها مما علاها من الرمال، والنقوش التى عثر عليها جلازر فى هذه الرحلة هى مايقرب من أربعين نقشاً سبئيًّا بخلاف تماثيل مختلفة وعملة ونصوص. وهى موجودة حتى اليوم فى متحف برلين وقد نشرها فيما بعد:

Mordtman: Himjarische Inschriften und Alterthumer in den Königliche Museen Zur Berlin Mitteilungen aus des orientalischen Sammlungen, Heft 7, Berlin 1893.

ونسخ جلازر أيضاً فى هذه الرحلة أربعمائة نقش لم تنشر كلها بعد نشر جلازر أصعب نقشين من هذه المجموعة التى نسخها تحت عنوان:

Zwei Inschriften über dem Dammbruch von Marib in Mitteilungen der Vorder asiatischen Gesellschaft., 1897, 6.

ونشر وصف جلازر لهذه الرحلة بعد موته فى سنة ١٩١٣:

Eduard Glasers Reise nach Mârib heraus gegben von D. H. Müller und Rohodokanakis, Wien 1913.

وبقى جلازر بعد ذلك فى أوربا مهتمًّا بدراسة النقوش العديدة التى جمعها إلى أن ذهب مرةً أخرى إلى جنوب بلاد العرب فى سنة ١٨٩٢ بمساعدة أكاديمية يراج، وكانت الحالة السياسية فى بلاد اليمن فى ذلك الوقت مضطربةً ولا تشجع على السفر إلى داخل البلاد، حيث كانت القبائل مجتمعة ثائرةً ضدّ الأتراك وقد حاصرت صنعاء حصاراً شديداً فلم يستطيع جلازر أو غيره أن يغادر صنعاء، غير أنه فكر فى طريقة أخرى لجمع النقوش فعلّم بعض البدو أخذ صور النقوش

بالإستمباج وهى عبارة عن ورق نشاف مخصوص يوضع على النقوش بعد بله بالماء ثم يضغط عليه فتطبع النقوش عليه، وقد نجحت هذه الطريقة لأن البدو كانوا يحاسبون على كل إستمباج بالعملة الرنانة فانسلوا خفية من وسط أخطار الحروب إلى الأماكن المغطاة بالخرائب التى لم يدخلها أى أوروبى، ولم يصل إليها أحد إلّا نادراً فى ذلك الوقت وكانوا يأخذون فى ظلام الليل صوراً للنقوش بطريقة الاستمباج السالفة، وحصل جلازر بهذه الطريقة من أقاليم الجوف على كمية ثمينة من النقوش المعنية من بينها معظم نقوش Halèvy التى هى فى الغالب نسخ مكسرة غير واضحة. كذلك نقش صرواح الكبير المكتوب فى العصر القديم للمملكة السبئية والذى يحتوى على مايقرب من ألف كلمة سبئية، وكذلك مايقرب من مائة نقش كتبت فى عهد المملكة القتبانية.

وبسفر Halévy, Arnaud إلى الجوف عن طريق النقوش عرفت مملكتان قديمتان هما السبئية والمعينية. كما عرفت أيضاً آثار حقيقية عن الشعبين اللذين لم يعرف عنهما شىء إلّا من التوراة والأخبار القديمة، وتحدثنا الأخبار القديمة عن أربع ممالك هى المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية. ولكن قبل رحلة جلازر الأخيرة كانت النقوش الموجودة مقسمةً إلى ثلاثة أقسام، ومكتوبةً بثلاث لهجات مختلفة هى المعينية والسبئية والحضرمية إلّا نقشاً واحداً من هذه النقوش تظهر فيه المملكة القتبانية كما يظهر فيه أيضا ملك قتبانى. ولكن بعد أن أحضر البدو صوراً للنقوش بطريقة الإستمباج ثبت وجود أربع ممالك كانت أماكنها ولغتها ودينها وحضارتها مجهولة من قبل. وبهذه النقوش التى تبلغ مائة نقش والتى جمعت من أماكن مختلفة من المملكة القتبانية صارت حضارة وتاريخ هذه المملكة على أسس تكاد تكون ثابتةً مما تحتويه من آثار تاريخية وسياسية ودينية.

وفى هذه الرحلة التى كانت من سنة ١٨٩٢ إلى ١٨٩٤ أحضر أربعين نقشا

وتماثيل وآثاراً مختلفة مع مجموعة ثمينة من النقود العربية القديمة واقتنى هذه المجموعة:

Konsthistorischen Hofmuseum in Wien

ودرس هذه المجموعة الثمينة:

D.H. Mller, Sudarabische Alterthuner in kunsthistorischen Hofmuseum, Wien 1899.

وبرحلات جلازر ازدادت معرفة العالم بمدينة جنوب العرب والشرق القديم زيادة عظيمة، وما حصل عليه جلازر من مجموعة عظيمة للنقوش يدل على أنه قد وضع مشاريعه العلمية على أسس ثابتة متينة. وفى الاستطاعة أن نقول إن أشهر الرحالين الذين اجتازوا هذه البلاد هم .Glaser, Halévy, Niebuhr وذلك بالنسبة لما قدموه للعلم والمعرفة من نصوص ومعلومات وفيرة.

وبعد المحصول الوافر الذى أنتجته رحلات جلازر من نصوص ومعلومات عن جنوب بلاد العرب أعدت أكاديمية فيينا سنة ١٨٩٨ رحلةً كبيرةً إلى جنوب بلاد العرب برئاسة الأستاذ دكتور Graf Carlo Landberg, D.H.Muller، ولم يشترك جلازر فيها ولم يكن له أى نصيب فى إعدادها لأنه كان فى ذلك الوقت مقيماً فى Münschen مهتمًّا بنقوشه. وعندما وصلت البعثة إلى عدن منع الإنجليز أى فرد من أفرادها من المرور إلى داخل البلاد؛ لذلك خرجوا من عدن فى سفينتهم قاصدين بال حاف فى حضرموت على أن يذهبوا منها إلى عزّان أنصالى، حيّان فالأماكن الخربة فى شبوة، غير أن العرب سكان البلاد اعترضوهم وأقاموا فى طريقهم صعوبات كثيرة، فعادوا إلى عزّان حيث أخذوا صورةً بطريقة الإستمباج لنقش حصن نقب الحجر فى عزّان التى زارها من قبل Wellsted ونقش Obne كذلك نقش حصن الغراب. وذهبت البعثة فى يناير ١٨٩٩ إلى

جزيرة سوقطرا حيث أخذوا فى دراسة اللهجة السوقطرية، ونشرت بعد ذلك سلسلةً من الدراسات للهجات الحديثة كلهجة الصومال المهرية والسوقطرية والشحرية.

وفى السنين العشر التالية عرّف كلٌّ من A. Deffers, Van den Berg وغيرهما العالم بالأماكن المجهولة فى جنوب بلاد العرب وفى الأماكن الخصبة والآهلة بالسكان فى حضرموت، الواقعة تحت النفوذ البريطانى، ولكن لم يقتن العالم شيئًا أثريًا له قيمة كبيرة على الرغم من أن كثيراً من المواد الخطية الحضرمية قد جلبت من حضرموت منها مذبح للإله القمرى سين مكتوب عليه نقش حضرى مهم، وقد صوّره ونشره Bent فى A Journey in Southern Arabia, London - 1900.P. 144.

غير أن الرحالة الألمانى Herman Burchardt استطاع أن يصور صوراً فتوغرافية من اليمن فى سنة ١٩٠٦-١٩٠٧ لبعض الآثار اليمنية وأرسلها إلى ألمانيا للأستاذ Martin Hartmann وهى صور من صنعاء ومدينة الغراس وقد نشر آشفغوشتة هذه النقوش فى مجلة: Orientalistische Literatur Zeitung. سنة ١٩٠٧ ٣ج ١٢ سنة ١٩٠٩، كما نشر أيضا Burchard بعض الصور والنقوش فى مجلة: Zeitschrift des Gesellschaft für Erd-Lannde. برلين ١٩٠٢ ص ٥٩٣-٦١٠ وذلك فى مقالة عنوانها: Reiseskizzen aus den Jemen.

وقامت الحرب العظمى فتعطلت الرحلات العلمية فى بلاد العرب، وترك المرسل الدنيمركى Oluf Hoÿer إرساليته التى ظلّ يعمل فيها سنين كثيرة فى جنوب بلاد العرب وترك كذلك مدرسته فى عدن وعاد إلى بلاده، واستطاع أن يحضر معه مجموعةً صغيرةً من الصور الفتوغرافية والاستمباج، واقتنى صهره الإنجليزى Major Jacob مجموعةً من الآثار بينها بعض الصور، ويقال إنها وصلت بعد ذلك

إلى دهلى فى الهند. ووصلت بعد ذلك فى السنين الأخيرة مجموعة من الآثار والاستمباج إلى أوربا عن طريق العمال العرب.

وخطَت دراسة النقوش العربية الجنوبية فى أوربا قبل الحرب خطوات لا بأس بها حيث إن Halévy, Osiander, Gesenius تابعوا دراستهم القيمة فى دائرة محدودة، غير أن أبحاث Praetorius الاستقصائية فى لغة النقوش وكذلك نَشْر Müller للنقوش العديدة وأبحاثه النحوية ودراسته للمواد العربية الجنوبية الموجودة فى الأدب العربى الإسلامى ومحاولته لترتيب النقوش ترتيباً تاريخيا يُعدّ هذا أوّل بحث من نوعه فى ذلك الوقت. كذلك القنصل الألمانى فى القسطنطينية دكتور Mordtmann والأستاذ Mark Lidzbarski فى كتابه: Ephemeris für semitische Epigraphik مجلد ١–٣ (١٩٠٢–١٩١٥). و Mordtmann فى: ZDMG, mrx: Zeitschrift für Assyrologie وكذلك وجدت النقوش العربية الجنوبية من يبحثها فى باريز بمحبة واشتياق مثل Mayer Lambert, Hartvig Derenbourg, Joseph Derenbourg. الذين نشروا النقوش العربية الجنوبية فى Corpus inscriptionum semiticarum pars quarta–Tomus-2–Fasciculus 1–4 باريز ١٨٨٧–١٩٠٨ وتحتوى هذه المجموعة على ٣٦٢ نقشاً من صنعاء وضواحيها وضوران وعمران وهمدان، فى Tomus–2 جـ ١–٤ النقوش من رقم ٣٦٣ حتى نقش ٥٩٥ باريز ١٩١١–١٩٢٠ وهى نقوش سبئية مرتبة على حسب الآلهة، فجزء للإله إلمقه وفيه النقوش من نقش رقم ٣٦٣–٤١٢ والجزء الثانى مخصص للآلهة عثتر وود وهوبس من نقش رقم ٤١٣–٤٩١ والثالث والرابع لآلهة مختلفة وهى من نقش رقم ٤٩٢–٥٩٥ وفى Tomus -3 المجلد الثالث جـ ١–٤ من نقش رقم ٥٩٦–٩٨٥.

ونشر Hommel فى Munschen سنة ١٨٩٢ قواعد عربية جنوبية ألحق بها

Bibliographie من سنة ١٧٧٤ حتى سنة ١٨٩٢ نقوشاً معينيةً وقاموساً بما جاء فى هذه النقوش من كلمات وأسماء، ويسمى هذا الكتاب باسم:

Südarabische Christomathie (minäo–Sabaisch Grammatik-Bibliographie – minäische Inschriften nebest Glossar) Münschen 1893.

ووجد جلازر أثناء رحلاته وبعدها حتى موته فى سنة ١٩٠٨ وقتاً لدراسة النقوش وما يتفرع بنها من مسائل كما استنبط تاريخ بلاد العرب من النقوش.

Ed. Glaser: Skizze der Geschichte Arabiens von den ältesten zeiten bis zum Propheten Muhammad 1.Heft, 1889.

Skizze des Gesch. und Geogr. Arabiens von d. Alt. Zeiten bis zum Proph. Muhammad, 2 Bd. 1890.

Die Abessinier in Arabien und Afrika, Münschen 1895.

وتعرض Fritz Hommel كذلك لتأريخ و جغرافية جنوب بلاد العرب فى كتابه: Grundriss der Geographie und Geschichtedes Alten Orients Münschen 1904. وظهرت كذلك بعض الكتب باللغة الدانمركية فنشر الأستاذ Otto Weber كتابه: Der Alte Arabien vor Islam. سنة ١٩٠١ مجلد ٣ جـ ١ فى Leipzig، و: Grimme, Die Weltgeschichte Bedeutung Arabiens, Muhammad, Münschen 1904. ونشر كذلك الأستاذ البرلينى Martin Hartmann بعد أن نشر بعد النقوش الصغيرة كتاباً سماه:

Der Islamische Orient, Band 2.

Die Arabische Frage mit einem Versuche der Archäologie Yemens, Leipzig 1889.

وقد عالج فى هذا الكتاب الحياة السياسية والاجتماعية لجنوب بلاد العرب كما تستنتج من النقوش.

كذلك نشر Derenbourg فى: Repertoire D'Epigraphie Sémitique. سنة ١٩٠١ المجلد الأوّل وفيه النقوش من رقم ١٨٤-١٩٥ وفى سنة ١٩٠٣ وفيه من رقم ٣١٠-٣١٨ وفى سنة ١٩٠٤ من رقم ٤٥٤-٤٦١.

وفى سنة ١٩٠٧ من رقم ٦٢٥-٦٦١ وفى سنة ١٩١٢ مجلد ٢ جـ ٢ وفيه من رقم ٨٤٧ - ١٨٨٥.

ونشر Grohmann فى سنة ١٩١٤ كتابه: Gotter symbole und symboltiere auf süd Arabische Denkmälern.

ونشر الأستاذ Rhodokanakis فى سنة ١٩١٥ كتابه: Der Grunsatz der Öffentlichkeit in den Südarabischen Urkunden.

كما نشر أيضاً فى تلك السنة الجزء الأوّل من كتابه: Studien zur Lexiographie und Grammatik des Altsüdarabischen.

ونشر الجزء الثانى من هذا الكتاب سنة ١٩١٧.

ونشر الأستاذ Hommel سنة ١٩٢٦ كتابه المطبوع فى Münschen وهو: Ethonologie and Géographie of Alten Orients.

ونشر Nielsen كتاباً بالاشتراك مع Fritz Hommel و Rhodokanakis و روهمان وليتمان كتابه: Handbuch der Altarabischen Altertümkunde. وذلك فى سنة ١٩٢٧.

وقام الأستاذان Rothjens, Wissmann برحلة إلى بلاد اليمن وحضرموت وقد جمعا فى هذه الرحلة عدة نقوش نشرها الأستاذان: Mittvoch, Mordtmann سنة ١٩٣١ فى كتاب اسمه: Sabäische Inschriften, Hambourg, 1931.

وسافر سنة ١٩٣٠ دكتور Schlobies إلى بلاد اليمن حيث مكث هناك مايقرب من سنتين، وقد اقتنى من هناك بعض النقوش غير أن الحكومة اليمنية صادرتها عند ما غادر البلاد.

وأرسلت الجامعة المصرية سنة ١٩٣٦ بعثةً علميةً إلى بلاد اليمن وقد جمعت هذه البعثة واحداً وتسعين نقشاً من بينها تسعة وسبعون نقشاً جديداً لم تعرف من قبل، كما أحضرت إلى مصر من هذه النقوش أحد عشر نقشاً وهى موجودة فى كلية الآداب جامعة القاهرة بقسم الجغرافيا، كما نسخ دكتور حزين رئيس البعثة صور بعض المخربشات الثمودية من حضرموت.

كذلك سافر من الحجاز إلى حضرموت فى هذه السنة الرحالة الإنجليزى Philby وقد قابلناه هناك، وحصل على بعض النقوش من حضرموت ونجران وقد درس بعضها الأستاذ Ryckmans كما درس الأستاذ Beeston النقوش من ٧٧ إلى ٨٨ ونشرت فى كتاب Philby المعنون باسم Sheba's Daughters سنة ١٩٣٩ صحيفة ٤٤١-٤٥٦.

وصدر سنة ١٩٢٩ المجلد الخامس من .R.E.S ويحتوى على Bibliographie من سنة ١٩١٦ حتى سنة ١٩٢٨ وعلى النقوش من رقم ٢٦٢٤ حتى نقش رقم ٣٠٥٢. وصدر المجلد السادس سنة ١٩٣٥ ويحتوى على النقوش من رقم ٣٠٥٣ حتى نقش رقم ٣٩٤٦، وصنف هذين المجلدين الأستاذ Ryckmans الأستاذ بجامعة Louvain ببلجيكا ونشر الأستاذ Carolus Conti Rossini كتابه: Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica. وقد نشر فيه ١٠٢ نقشاً من النقوش العربية الجنوبية بفهرست للكلمات الواردة فى هذه النقوش وغيرها.

ونشر الأستاذ Ryckmans سنة ١٩٣٤-١٩٣٥ كتاباً سماه: Les Noms

Cropres süd– Semitiques. فى ثلاثة أجزاء ويحتوى الجزء الأول على أسماء الأعلام ويشمل أسماء الآلهة والأسماء المقدسة ثم أسماء الأشخاص فأسماء القبائل وأسماء الأمكنة فأسماء الشهور فملحق بالأسماء الحبشية التى ذكرت فى النقوش الحبشية.

ويشمل الجزء الثانى من هذا الكتاب سجلاً أبجديًا لما جاء فى الجزء الأول.

ويتضمن الجزء الثالث النقوش السامية الجنوبية وأسماء الكتب والمجلات التى نشرت فيها وهى فى ثلاثة فصول وهى:

١ – نقوش شمال بلاد العرب وهى اللحيانية والصفوية والثمودية.

٢ – ويشمل النقوش العربية الجنوبية.

٣ – ويشمل النقوش الحبشية.

وسافر نزيه مؤيد العظم إلى صرواح ومأرب ونسخ بعض النقوش المكتوبة على أنقاض سد مأرب، كما نسخ بعض النقوش من أماكن أخرى ونشر نزيه كتاباً نشر فى القاهرة سنة ١٩٣٨ اسمه رحلة فى بلاد العربية السعيدة، وصف رحلته إلى مأرب فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ونشر العالم البلجيكى ريكمانز الكبير سنة ١٩٤٢ نقوش نزيه مع ترجمة فرنسية لهذه النقوش.

وأرسل اللورد Wakefield سنة ١٩٣٧ المتداخلة فى سنة ١٩٣٨ بعثةً إلى حضرموت مكونة من ثلاث سيدات هن:

Miss Freya Stark, Miss Caton Thompson, Miss E.W.Sardiner.

وقد قمن وبخاصة العالمة الأثرية كاتون تومبسون بعمل بعض الحفريات فى خربة حُريضة بحضرموت، وكشفت الحفريات التى قامت بها البعثة المذكورة عن معبد للإله الحضرمى (سين) الممثل للقمر وقام بدراسة النقوش العالم البلجيكى

ريكمانس الكبير كما نشرت العالمة الأثرية السالفة الذكر سنة ١٩٤٤ كتاباً صدر في أكسفورد اسمه: مقابر حُريضة وهيكلها وضمنت ذلك الكتاب وصفًا لرحلتها ودراسة للهياكل والمقابر التي حفرتها، كذلك ماكشفت عنه من آثار وضمنت ذلك الكتاب أيضاً دراسة ريكمانس للكتابات التي وجدت هناك. وأرّخت المقابر التي حفرتها بالقرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، كما أرّخت المباني بالفترة الواقعة بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد، كما قالت إن النقوش القديمة ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وإن المباني العربية الجنوبية القديمة قد تكون متأثرةً بالبناء الفارسي أو الفينيقي أو اليوناني. ونشر أيضاً الأستاذ ريكمانس الكبير النقوش التي جمعتها فريا ستارك من وادي عمد ووادي ميفعة عند ميناء بلحاف على خليج العرب بحضرموت سنة ١٩٣٩ وبين هذه النقوش نقش مؤرخ في سنة ٥٦٠ من التقويم الحميري أي في سنة ٤٤٥م. ويعرف هذا النقش باسم نقش حصن الغراب.

وكلفت كلية العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٤ السيد محمد توفيق بالسفر إلى اليمن لدراسة هجرة الجراد الرحال وللكشف عن مناطق توالده وتكاثره، وذلك لكي تساهم جامعة القاهرة مع مركز تموين الشرق الأوسط بالقاهرة ومكتب أبحاث الجراد بلندن لدرء خطر فتك الجراد بمحصولات الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية، ومما هو جدير بالذكر أن محمد توفيق كان أحد أعضاء بعثة الجامعة المصرية لبلاد اليمن سنة ١٩٣٦ وفي أثناء رحلته إلى اليمن سنة ١٩٤٤ قام بجولة زار فيها كثيراً من بلاد اليمن وعلى الخصوص منطقة جوف اليمن التي لم يزرها من قبله إلاّ المستشرق يوسف هاليفي سنة ١٨٦٦.

وأعادت كلية الآداب انتداب محمد توفيق لنفس المهمة السابقة فقام برحلات عديدة من أهمها زيارته لجوف اليمن حيث استكمل دراسة بلاد الجوف دراسةً

مستفيضةً وقام فى أثناء تجوله باليمن للبحث عن مواطن جديدة لتوالد الجراد وتكاثره بزيارة جميع الخرائب اليمنية الموجودة فى جوف اليمن مع دراسة بقايا أبنيتها وقياسها ووصفها ورسمها، ونقل جميع النقوش اليمنية والزخارف التى وجدها هناك محدّداً مواقعها فى كلّ خربة، وصوَّر كثيراً من النقوش المعينية والسبئية وغيرها مما وجده فى رحلتيه السالفتى الذكر.

وقمت بنشر وترجمة مائة وثمانية وخمسين نقشاً من نقوشه إلى اللغة العربية، ونشر محمد توفيق سنة ١٩٥١ كتاباً عن آثار معين فى جوف اليمن، وقد وصف فى ذلك الكتاب بقايا الأبنية القديمة وصفاً علميًّا دقيقاً، كما رسم لتلك الأبنية القديمة رسماً تخطيطيا وعمل فى ذلك الكتاب أيضاً خريطةً لليمن مبيّناً مواقع النقوش المعينية فيها والطريق الذى سلكه إليها فى رحلتيه.

ويعد كتاب محمد توفيق فى الحقيقة من خيرة الكتب التى صدرت فى هذا الموضوع، لأنه زوّد العلماء بصور فتوغرافية للنقوش المعينية الموجودة فى خربة معين كما صوَّر ووصف مدينة معين وصفاً علميا دقيقاً مبيناً طريقة بنائها وواصفاً الأحجار المبنية منها تلك المدينة، وهذا مما قد يساعد العلماء على معرفة تاريخ المعينيين.

وعلى العموم فإن محمد توفيق يُعَدّ أوّل رحالة فى عصرنا هذا يقدم للعلم إنتاجاً علميا وافراً من الجوف وغيره بعد ثلاثة أرباع قرن من زيارة يوسف هاليفى إلى بلاد جوف اليمن.

وزار الدكتور أحمد فخرى الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة بلاد اليمن فى سنتى ١٩٤٧، ١٩٤٨ وتمكن من الذهاب إلى صرواح حيث شاهد مناطقها الأثرية وعلى الخصوص منطقة الخربة حيث شاهد هناك الآثار السبئية القائمة هناك حتى اليوم، وقد كانت هذه المنطقة منطقة صرواح العاصمة القديمة لملوك سبأ، وقد

وصف أحمد فخرى وصوّر بقايا المدينة القديمة المستديرة الشكل وكذلك المعبد الكبير البيضاوى الشكل. وقد نقل عدّة نقوش من هناك وعلى الخصوص النقش الكبير الذى كتبه حاكم سبأ كربئيل وتر بن ذمار على. وزار أيضاً مدينة مأرب حيث شاهد سدّها المشهور المنهار وقد وصفه ونقل ما عليه من نقوش صوّرها أيضًا، وزار أيضاً معبد إلمقاه المعروف باسم محرم بلقيس أو دار بلقيس البيضاوى الشكل ووصفه مبيّناً أن الإفريز الأعلى من سور المعبد مزخرف بتلك الزخرفة التى نعرفها فى صرواح، كما نعرفها أيضاً فى الآثار الحبشية القديمة وهى عبارة عن زخرفة تمثل نوافذ مسدودة على شكل هندسى متناسقة أحجامه.

وزار أيضًا بلاد الجوف حيث شاهد مدينة معين وبراقش وغيرهامن المدن المعينية الأخرى، وقد صوّر ونقل النقوش والآثار الباقية بين أنقاض الأبنية والمعابد الموجودة هناك، ووصف معابد عثتر فى جوف اليمن بقوله:

إن معابد عثتر فى الجوف المبنية بتلك الحجارة الجرانيتية الضخمة تذكرنا بمظهرها العام ببعض المعابد فى مصر كمعبد الوادى للهرم الثانى فى الجيزة ومعبد أبيدوس فى أبيدوس.

وتجعل طريقة بناء هذه المعابد وكذلك الزخارف التى على أبوابها الجرانيتية الثقافة المعينية فى مكان عال، كما تدفعنا هذه الأشياء إلى مقارنة الحضارة العربية الجنوبية القديمة بالحضارات الشرقية القديمة كالحضارة المصرية القديمة وحضارة ما بين النهرين.

وقال الدكتور أحمد فخرى بعد ذلك فى الجزء الأوّل من كتابه المعنون باسم: رحلة أثرية فى بلاد اليمن ما يلى: يتبين من مقارنة معابد صرواح ومأرب أنه لا توجد أى دلالات على وجود هياكل بيضاوية أو شبه مستديرة فى بلاد الجوف، كذلك لا توجد فيها الأعمدة التى كانت تقام أمام المعابد السبئية والتى كانت

تستخدم كمداخل لتلك المعابد، ولم توجد حتى اليوم جدر فى معابد سبئية عليها أى زخرفة تمثل صوراً بشرية. وقال بعد ذلك: إننا نعرف من تاريخ اليمن أن حروب المكربين قد اكتسحت مدن قتبان ومعين ولذلك فمن المحقق أن حضارة الجوف أقدم من حضارة مأرب، وأن هياكل الجوف كانت مقامةً قبل هزيمة المعينيين فى القرن السابع قبل الميلاد.

وجمع الدكتور أحمد فخرى من الأماكن التى زارها مائةً وعشرين نقشاً جديداً لم يعرفها العالَم من قبل. وترجم العالم البلجيكى ريكمانس الكبير نقوشه إلى الفرنسية وذيّل الجزء الأول من كتاب فخرى السالف الذكر بمقالة ذكر فيها تاريخ جنوب بلاد العرب بشىء من الإيجاز قال فيها إن المكربين السبئيين القدماء كانوا معاصرين لسرجون وسنحريب ملكى بلاد ما بين النهرين، وأن الشعوب العربية كانت تقدم الجزية للملوك الآشوريين بعد هزيمتهم سنة ٧١٥ قبل الميلاد، وأن مملكة معين قد خضعت للحكم السبئى فى نهاية حكم دولة المكربين.

ونظمت المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان سنة ١٩٥٠ بعثةً من مشاهير العلماء للذهاب إلى حضرموت ومن بين هؤلاء الأساتذة العالم الأثرى المشهور فى الشرقيات دكتور W,F,Allbright والعالم البلجيكى الأب البرت A.Jamme W.F. الذى يعمل الآن أستاذاً فى الجامعة الكاثوليكية بواشنطون.

وقد ذهبت البعثة سنة ١٩٥٠، ١٩٥١ إلى وادى بيحان بحضرموت حيث حفرت فى تلٍّ هناك يعرف باسم هجر كحلان وهو المكان القديم لمدينة تمنع عاصمة المملكة القتبانية، ودلت الحفريات التى أجرتها البعثة على أن مدينة تمنع كانت مدينةً كبيرةً تبلغ مساحتها ما يقرب من خمسة وثلاثين فداناً، وكانت مبنيةً على شكل مستطيل يحيط بها سور مبنى بكتل من الحجارة ولها أبواب مبنية بحجارة كبيرة، ووجدوا فى داخل السور أبنية وقصوراً من أهمها بناء مربع الشكل

اختلفوا فيه فقال الأستاذ Allbright إنه هيكل للإله عشتر كما قال الأب شووق إنه قصر خاص لملك من الملوك القتبانيين، ورمم ذلك القصر فى القرن الثانى قبل الميلاد. كما قالوا أيضاً إنه يرجع إلى الفترة الواقعة بين القرن الخامس قبل الميلاد والتاريخ المسيحى. وقال بعض الأثريين إن الباحث يشاهد فى أبنية ذلك البناء أربعة أنواع من الأبنية المختلفة فى تاريخ بنائها وهى:

١ - النوع الأول ويشمل كتلاً حجريةً صغيرةً كانت تستخدم فى أساس ذلك البناء وهى ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد تقريبا.

٢ - يرجع النوع الثانى إلى القرن السادس قبل الميلاد.

٣ - ويرجع النوع الثالث إلى العصر الفارسى أو العصر الهيلينى أى حوالى سنة ثلاثمائة قبل الميلاد تقريباً.

٤ - ويرجع النوع الرابع: من ذلك البناء إلى حوالى سنة مائة قبل الميلاد.

ووجدت البعثة خارج الجدار الجنوبى لذلك البناء تمثالين من البرنز لأسدين يمتطيهما طفلان، وهذان التمثالان فى غاية الجمال والروعة والدقة، كما أن على قاعدتيهما كتابة قتبانية تدلّ على أن شخصين قد قاما بزخرفة البناء وإتمامه، وهذا مما قد يدل على أن هذين التمثالين صنعا لتخليد ذكرى الصانعين، ومما هو جدير بالذكر أن الأسد يرمز للشمس ربة الشتاء والصيف ويرمز الطفل لابن الشمس وهو الإله عشتر. ويبين هذان التمثالان أثر الثقافة الهيلينية فى عصورها المتأخرة على جنوب بلاد العرب وذلك فى القرن الثانى قبل الميلاد تقريباً.

وظهر للباحثين أن مدينة تمنع تعرضت لحريق كبير قضى عليها، كما يتبين ذلك من الطبقات الكثيفة من الرماد التى تغطى البقايا الأثرية الموجودة فى داخل البوابة الجنوبية للمدينة. وقضى على مدينة تمنع بهذا الحريق قضاءً تاما كعاصمة

لمملكة قتبان المستقلة. وقال العلماء إن تخريب المدينة حدث فى أوائل القرن الأوّل الميلادى أو قبل ذلك بقليل وخضعت المملكة القتبانية للحكم الحضرمى كما يظهر ذلك من نقوشهم الموجودة هناك.

وحفرت البعثة فى تلٍّ يعرف باسم (حيد بن عقيل) وهو على بعد ثمانين كيلومتراً من المكان الذى كانت توجد فيه مدينة تمنع عاصمة القتبانيين. وكشفت الحفريات التى أجريت هناك أنها كانت عبارة عن جبانة لمدينة تمنع ووجدت فيها كتابات كثيرة وقد نشر الأب Jamme مائتين وستين نقشاً من تلك الكتابات.

وحفروا أيضاً فى تلال واقعة فى وادى بيحلن مثل (هجر ابن حميد)، (حصن الهجر)، (والحرجة) وغير ذلك من الأماكن الأثرية الأخرى فوجدوا فيها كثيراً من الآثار والنقوش ومن أهم ما وجد فى هجر ابن حميد عدد من الكتل الخشبية المتفحمة التى كانت تستخدم فى القدم لتسقيف أو تعريش أبنية من اللبن، وقد وجدت تلك المخلفات فى مساحات عديدة مشتتة. وأخذ العلماء قدراً كبيراً من ذلك الفحم النباتى من كل مسطح من تلك المسطحات لكى تكون كافيةً للفحص العلمى وبعد أن فحصت هذه المخلفات فحصاً علميا ثبت أنها ترجع إلى سنة ٨٥١ قبل الميلاد أو فى الفترة الواقعة بين سنة ١٠١٢، سنة ٦٩٢ قبل الميلاد. ووجدوا جرّةً من الفخار تحت الطبقة التى أخذوا منها الفحم النباتى ومكتوب على هذه الجرة مونوجرام وهو عبارة عن حروف متشابكة ترمز إلى اسم علم يُرجع العالم Allbright تاريخه إلى سنة ٧٠٠ ق.م. غير أن الباحثين الأثريين قالوا إن الجرّة من حيث علم الطبقات الجيولوجية أقدم من الطبقة التى وجد فيها الفحم ولذلك فأحدث تاريخ محتمل لهذه الجرة هو النصف الثانى من القرن الثامن، وأقدم تاريخ لها هو القرن الحادى عشر ولذلك فمن المحتمل أن تكون هذه الجرة صنعت فى القرن التاسع قبل الميلاد وكذلك تاريخ خط المونوجرام المكتوب على الجرة وقال

بعض العلماء بأنه فى ضوء هذه الحقيقة العلمية يجب أن يكتب تاريخ جنوب بلاد العرب. وقسم العالم Allbright خطوط النقوش المذكور فيها أسماء المكربين إلى ثلاثة أقسام هى كما يلى:

١ – القسم الأوّل قد يؤرخ بما قبل سنة ٦٧٥ قبل الميلاد وعند يرجع إلى القرن الثامن ومن المحتمل إلى القرن التاسع.

٢ – القسم الثانى قد يرجع تاريخه إلى الفترة الواقعة بين سنة ٦٧٥، ٥٢٥ قبل الميلاد.

٣ – القسم الثالث قد يرجع تاريخه إلى الفترة الواقعة بين سنة ٥٢٥، سنة ٤٥٠ قبل الميلاد.

وقال أيضاً فى ضوء ذلك إن الملوك المعينيين المعروفين لدينا حتى الآن قد حكموا فى الفترة الواقعة بين سنة ٤٠٠، سنة ٢٥ قبل الميلاد.

وسافر الأب Jamme إلى إقليم ميكراس وهو على بعد ١٧٠ ك.م. شمال شرق عدن حيث أقام هناك أسبوعاً نسخ فى خلاله ألف كتابة مكتوبة على الجبال التى هناك وهذه الكتابات على جانب كبير من الأهمية من حيث تاريخ الخط المسند وصلته بالخط الثمودى. و نشر الأب Jamme نقشاً وجده فى وادى بيحان يرجع تاريخه إلى القرنين التاسع أو العاشر قبل الميلاد.

وسافرت سنة ١٩٥١ بعثة مكونة من العالم ريكمانس الكبير وابن أخيه جاك ريكمانس والرحالة الإنجليزى المشهور جون فيلبى من جدّة إلى الطائف فبلاد عسير فنجران وجمعوا فى هذه الرحلة الأثرية الهامة اثنتى عشرة ألف كتابة من بينها تسعة آلاف كتابة ثمودية والباقى كتابات سبئية بينها كتابة لأبرهة مؤرخة فى سنة ٥٤٧م وكذلك نقش آخر ليوسف ذى نواس صاحب الأخدود ومؤرخ سنة

٥١٨م. ونشر ريكمانس الكبير بعض هذه النقوش وهى من أهم النقوش لأنها تؤرخ أحداث العرب فى القرن السادس الميلادى.

وسافرت البعثة الأمريكية إلى بلاد اليمن فى نوفمبر سنة ١٩٥١ حيث قامت بإجراء حفريات بمحرم بلقيس وبدراسة سدّ مأرب دراسةً علميةً صحيحة، وقد نقل الأب Jamme كثيراً من النقوش المكتوبة على السد، تلك النقوش التى نقل بعضها أيضاً جلازر وفخرى وقد وجد الأب Jamme أربعة نقوش كتبت فى العهد الحبشى أى القرن السادس الميلادى، ووجد أيضاً على بعد خمسة كيلو مترات شمال شرقى مأرب نقشاً مكتوباً من اليسار إلى اليمين. والنقوش التى وجدها الأب Jamme وصورها ونقلها من تلك الأماكن لها فائدة كبيرة فى تاريخ الخط وتطوره وتاريخ اليمن القديم.

ومحرم بلقيس الذى حفرت البعثة الأمريكية فى بعض أجزائه هو معبد أوّام بيت الإله إلمقاه الإله الرئيسى للمملكة السبئية فى عهودها القديمة ووجدت البعثة فى الجزء الذى حفرته نقوشاً كثيرةً، ومما هو جدير بالذكر أن الذى بنى سور المعبدالبيضاوى الشكل مكرب سبئى اسمه يدع إيل ذرح بن سمهو على فى القرن الثامن قبل الميلاد كما يظهر ذلك من نقش وجد على مبنى السور البيضاوى الشكل. غير أنه مما لا جدال فيه أن بناء السور قد يرجع إلى أقدم من ذلك خصوصا أن البناء لم يفحص فحصاً علميًّا تامًّا لأن معظم السور لم تكشف عنه الحفريات بعد. ويقال إن تاريخ الملك الذى بنى ذلك السور قد يرجع فى رأى العالم الأمريكى Allbright إلى أوائل أو منتصف النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد، كما أن بناء الهيكل قد يرجع إلى عهد أقدم من ذلك، وقد أصلح السور ورمم عدة مرات كما يتبين ذلك من النقوش التى وجدتها البعثة هناك وهى نقوش كتبها بعض ملوك سبأ المتقدمين، ويرجع تاريخ الإصلاح والترميم إلى القرن

الخامس قبل الميلاد. ووجد نقش لملك اسمه كرب إيل وبهنعم ذكر فيه أنه أصلح السور هو وابنه ملك آمر وهما من ملوك سبأ وذى ريدان، وقد حكما بلاد اليمن حوالى منتصف القرن الأوّل الميلادى.

وكشفت الحفريات التي أجريت فى محرم بلقيس عن بناء مربع داخل السور كما وجدوا فى الداخل صفًا من الأعمدة شبيهة بالأعمدة الموجودة خارج المبنى ويبلغ عددها ثمانية أعمدة وهى من غير كرانيش فى أعلاها ومقامة على أسس من الصخر، ووجدت البعثة فى الزاوية الشمالية الغربية من ذلك البناء أدوات حجرية مكسورة كما وجدت فناءً داخل البناء محاطاً بكتل حجرية، وكانت تقام على هذه الكتل تماثيل برنزية وكان النقش يكتب على التمثال أما القاعدة فكانت خاليةً من الكتابة، ووجدت هذه الكتل إمّا قائمة كما كانت وإما ملقاة على الأرض أو مرمية بعضها فوق بعض.

ووجدت البعثة أيضاً فى هذا البناء عدة غرف ودرج فى مدخل فناء محرم بلقيس وعلى بعض التماثيل البرنزية منها تمثالان سليمان إلى حدٍّ ما على كل منهما نقش مكتوب بطريقة البوسطروفيدون وعلى ظهر تمثال منهما جلد حيوان بدون ذيل ومخاليه ملفوفة على رقبة التمثال وعلى فخديه وملفوف حول وسطه حزام مثبت فيه خنجر، واختلف العلماء فى جلد ذلك الحيوان فقال بعضهم إنه جلد نمر كما قال بعضهم إنه جلد أسد ويرجع هذا الاختلاف إلى أن الذيل مقطوع والمخالب غير واضحة المعالم، وعلى العموم فلبس جلود الحيوانات كان موجوداً عند قدماء المصريين كما كان معروفاً عند الفينيقيين حيث كانت ترمز إلى الإله الفينيقى ملكرت، ومن الجائز أن يقال إن السبئيين استعاروا ارتداء جلود الحيوانات من الفينيقيين الذين كانوا متصلين بهم عن طريق التجارة وحدث ذلك فى القرن السابع قبل الميلاد حيث طبع فى البلاد بالطابع اليمنى الخاص، وعلى

العموم فإن التمثالين قد يرجعان كما يقول بعض المستشرقين إلى القرنين السابع أو السادس قبل الميلاد تقريباً.

ونشر الأب Jamme النقشين المكتوبين على التمثالين ولاحظ أن أسماء قتبانية مكتوبة على أحد هذين التمثالين منها اسم مركب من اسم مضاف إلى اسم الإله القتبانى (عم). ومما هو جدير بالذكر أنه قد وجدت أيضاً كتابات سبئية قديمة فيها أعلام مركبة كثيرة مضافة إلى اسم الإله القتبانى (عم)، كما وجدت كتابات قتبانية فيها بعض خصائص اللغة السبئية مثل ضمير الغائب (هو) عوضاً عن الضمير القتبانى (سو) كذلك الهاء عوضاً عن السين فى وزن أفعل من الفعل المزيد مثل هَقنَى عوضاً عن سَقنَى بمعنى قدَّم للإله قرباناً أو أعطاه له أو ملّكه إياه.

ووجود هذه الظواهر اللغوية فى اللغتين السبئية والقتبانية هو مثار جدل بين العلماء، فقال بعضهم إن وجود تلك الظواهر فى الكتابات القتبانية قد يدل على أن القتبانيين من أصل سبئى أو أن الهاء فى الضمائر القتبانية الموجودة فى بعض النقوش القديمة كانت تستخدمها الطبقة القتبانية الحاكمة فى أول الأمر لأنهم كانوا من أصل سبئى أو أن هذا الاستعمال من بقايا الحكم السبئى القديم لبلاد القتبانيين؛ لأنه مما لا شك فيه أن السبئيين حكموا بلاد قتبان فترةً طويلةً من الزمن كما يقول العالم الأثرى الأمريكى Allbright وقد تبادل الشعبان السبئى والقتبانى فى أثناء ذلك الحكم الخصائص اللغوية والاجتماعية. وانفصل الشعب القتبانى بعد ذلك عن الكتلة السبئية مكونا ثقافته الخاصة به. أو أن هذه الظواهر اللغوية كانت شائعةً بين الشعبين السبئى والقتبانى بجانب الخصائص اللغوية لكل منهما، أما وجود اسم الإله القتبانى (عم) فى أعجاز الأسماء المركبة السبئية فقد يكون مرجعه إلى أن عبادة هذا الإله كانت موجودةً أيضاً عند الشعب السبئى أو أن أصحاب تلك الكتابات التى وجدت فيها أسماء أعلام مركبة مضافة إلى اسم

الإله القتبانى (عم) كانوا من أصل قتبانى واندمجوا بعد ذلك فى الشعب السبئى أو أن ذلك كان نتيجةً لأسباب سياسية كالتى ذكرناها من قبل.

وأرسلت وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٥٢ بعثةً علميةً إلى بلاد اليمن لجمع المخطوطات العربية وكنت رئيس هذه البعثة وكلفتنى الحكومة اليمنية بوضع تقرير عن أعمال بعثة وندل فيلبس الأمريكية فذهبت إلى مأرب وصورت بعض النقوش التى كشفت عنها حفريات البعثة كما وضعت تقريراً عن أعمال البعثة الأمريكية، ونشرت بعد عودتى إلى مصر بعض تلك النقوش مع ترجمة عربية.

وبهذا القول نكون قد انتهينا من التكلم عن الرحالين الذين زاروا بلاد اليمن وعن الحفريات التى أجريت فى تلك البلاد، أولئك الرحالون الذين خدموا العلم خدمةً قيمةً بما جمعوه من نقوش عديدة ومواد أثرية مختلفة متعدّدة.

ودرست الآثار التى حصل عليها أولئك الرحالون دراسة علمية واسعة واستنتج منها العلماء بعض الحقائق العلمية الهامة، وقد ذكرت فى ثنايا كلامى بعض تلك الحقائق وبعض الاستنتاجات. ومهما يكن من أمر فقد ذهب المستشرقون فى دراسة تاريخ اليمن عدّة مذاهب ويرجع ذلك إلى أننا لا نملك حتى اليوم سجلا يمنيا بأسماء ملوك اليمن وحكامهم ووزرائهم. وقد اخترت من تلك الآراء رأيين وقبل أن نذكر هذين الرأيين نقول إنه من المعروف أن ملوك سبأ وذى ريدان اتخذوا سنة ١١٥ قبل الميلاد مبدأ لتأريخ أحداثهم ووجدت بعض النقوش مؤرخةً بهذا التاريخ غير أنها قليلة كما سبق أن ذكرنا ذلك من قبل، وأن الشعوب العربية الجنوبية كانت تؤرخ نقوشها أيضاً بكبير من كبراء ثلاث عائلات هى كما يلى:

١ — حز فرم كبير خليل.

٢ — حذمت.

٣ — فضحم.

وكان هؤلاء الكبار من أسر أرستقراطية عريقة تمت بصلة القرابة إلى الأسر الحاكمة، وتبين للعلماء أن هؤلاء الكبراء كانوا يعينون لمدة ست سنوات أو سبع ليؤرخوا بهم أحداثهم وكانوا يشرفون على الشئون الزراعية كما كان المكربون والملوك يتولون السلطة الإدارية والدينية والتشريعية. ووفق عالم روسى وعالم بلجيكى إلى ترتيب عشرين كبيراً فى عهد ملوك سبأ وذى ريدان وإلى ترتيب الملوك المذكورين فى هذه النقوش المؤرخة بالكبراء، وقد نشرا ذلك فى مقالة باللغة الفرنسية نشرت سنة ١٩٦٤، كما استطاع العالم البلجيكى جاك ريكمانس أن يربط سلسلة حكم سبعة عشر كبيراً من مدّة حكم الملك رب شمس نمران ملك سبأ وذى ريدان إلى حكم الملك نشأ كرب يؤمن يهرحب ملك سبأ وذى ريدان، وذكر فى نقش وجد فى محرم بلقيس أن وباء قد انتشر فى البلاد فى عهد الملك رب شمس نمران وهذا الوباء هو الطاعون الذى انتشر فى مدينة سلوقية على نهر دجلة سنة ١٦٥ م. وجاء ذلك الوباء من الهند بواسطة العرب اليمنيين إلى بلاد البحر المتوسط وعلى ذلك فقد انتشر فى اليمن سنة ١٦٦م. وبحساب مدّة كل كبير من الكبراء المذكورين فى تلك المدة يتبين أنها تنتهى فى سنة ٢٦٥م.

وهذا الكشف التاريخى هو من أكبر الخدمات التى ظفر بها تاريخ العرب القديم بصفة عامة وتاريخ اليمن بصفة خاصة وذلك على الرغم من الانتقادات اليسيرة التى وجهت إلى ذلك الكشف.

ونذكر الآن الرأى الأوّل الذى اخترناه وهو رأى العالم الأثرىW.F.Allbright والذى كتبه مستنداً إلى الدراسات العلمية والأثرية التى نتجت من الحفريات التى أجرتها بعثة وندل فيلبس فى جنوب بلاد العرب من سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٥٢.

١ - هجرة المعينيين والقتبانيين والحضارمة من الشمال إلى أماكنهم فى جنوب

الجزيرة ويرجع ذلك إلى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد.

٢ – هجرة السبئيين من شمال بلاد العرب إلى أماكنهم فى الجنوب سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد.

٣ – بدء استخدام الإبل فى القوافل وذلك قبل سنة ألف قبل الميلاد.

٤ – كان تاريخ ملكة سبأ التى ذكرت فى العهد القديم حوالى سنة ٩٥٠ قبل الميلاد.

٥ – القرن العاشر قبل الميلاد هو التاريخ التقريبى لأقدم نقش قتبانى.

٦ – يرجع تاريخ أقدم مكرب سبئى معروف لدينا حتى الآن إلى حوالى سنة ٩٠٠ قبل الميلاد.

٧ – يشع أمر وتر السبئى يدفع جزية إلى سرجون الآشورى سنة ٧١٥ ق.م.

٨ – كربئيل باين السبئى يرسل الجزية إلى سنحريب الآشورى سنة ٦٩٠ ق.م.

٩ – كربئيل وتر يؤسس المملكة السبئية سنة ٤٥٠ قبل الميلاد.

١٠ – صدق إيل أو صادق إيل الحضرمى يؤسس مملكة معين سنة ٤٠٠ قبل الميلاد.

١١ – يؤسس يدع أب ظبيان مملكة قتبان فى القرن الرابع قبل الميلاد.

١٢ – شهر هلال يهنعم يقيم مسلة فى تمنع فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد.

١٣ – يدع أب غيلان يؤسس بيت (يفش) فى تمنع فى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد.

١٤ – حكم شهر يجل أو يجول يهرحب فى أزهى عصور قتبان فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد.

١٥ – يسكّ ورو إيل غيلان عملةً ذهبيةً قتبانية سنة خمسين قبل الميلاد.

١٦ – يبنى شهر هلال يهقبض هيكل (يفع) فى مدينة تمنع سنة خمسين قبل الميلاد.

١٧ – غزوة إليوس جالوس لجنوب بلاد العرب سنة ٢٤ قبل الميلاد.

١٨ – تدمير مدينة تمنع والقضاء على مملكة قتبان حوالى سنة سبعين ميلادية.

١٩ – قيام مملكة سبأ وذى ريدان حوالى سنة سبعين ميلادية.

٢٠ – توحيد كل أنحاء اليمن تحت حكم ملوك سبأ حوالى سنة ٣٠٠ ميلادية.

٢١ – الغزو الحبشى لبلاد اليمن حوالى سنة ٥٢٥ م.

٢٢ – الغزو الفارسى لبلاد اليمن حوالى سنة ٥٧٥ م. واعتنق اليمنيون وحكامهم الإسلام سنة ٦٣٠ م.

وكتب ذلك العالم الأمريكى بحثاً سنة ١٩٥٦ قسم فيه المكربين السبئيين ثلاثة أقسام هى كما يلى:

١ – القسم الأول خمسة وعدده مكرّبين على الأقل ويرجع تاريخ ذلك القسم إلى ما قبل سنة ٦٧٥ قبل الميلاد، وقد يمتد إلى أول القرن الثامن أو إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد.

٢ – والقسم الثانى ويتضمن أسماء عشرة مكرّبين على الأقل ويرجع تاريخهم من سنة ٦٧٥ إلى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد.

٣ – والقسم الثالث ويشمل أسماء خمسة مكرّبين ويرجع تاريخ ذلك القسم إلى الفترة الواقعة بين سنة ٥٢٥ وسنة ٤٥٠ قبل الميلاد.

والرأى الثانى هو رأى العالم الألمانى Von Wissmann فقد نشر سنة ١٩٦٤ كتابين أحدهما بالإنجليزية تحت عنوان Himyar, Ancient History والثانى باللغة الألمانية هو عبارة عن تاريخ جنوب الجزيرة العربية وجغرافيتها وقد اعتمد على رأى العالم الروسى الذى ذكرناه من قبل وعلى أشياء أخرى وقد ذكر أسماء ستة وعشرين مكربًا من سنة ٧١٥ قبل الميلاد إلى سنة ٤١٠ قبل الميلاد حيث حكم كربئيل وتر الثانى آخر مكربى سبأ وأوّل ملك لها. واستمر حكم ملوك سبأ من سنة ٤١٠ قبل الميلاد حتى سنة ٢٤ قبل الميلاد. أما مملكة معين فاستمرت من سنة ٤٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ستين قبل الميلاد. ومملكة قتبان من سنة ٣٦٠ قبل الميلاد وخربت مدينة تمنع وقضى عليها قضاءً تامًّا سنة خمس وتسعين ميلادية. وانتهت دولة قتبان سنة ١٤٥ ميلادية وانتهت مملكة حضر موت سنة ثلاثمائة ميلادية حيث ضمت لمملكة سبأ.

وتدهورت الحالة الاقتصادية لبلاد اليمن بسبب طمع اليونان والرومان فى الثروة المتدفقة على أهل سبأ من تجارة البخور والتوابل وتجارة الهند والصين وشرقى أفريقيا، فغزاها القائد الرومانى Aelius Gallus سنة ٢٤ قبل الميلاد غير أن الغزوة باءت بالفشل والخسران. وأخذ اليونان والرومان قبل ذلك التاريخ يرسلون سفنهم التجارية إلى بلاد البخور والتوابل وبلاد الهند والصين لنقل السلع التجارية عن طريق البحر الأحمر، واستطاع الرومان السيطرة على الطريق البحرى فى القرن الأوّل الميلادى فتدهور الاقتصاد اليمنى ودبّ الوهن والضعف فى كيان الحكومة السبئية وأخذت الوحدة السياسية للبلاد تتفكك، وقامت فى جبال اليمن فى الفترة الواقعة بين سنة ٧٦ وسنة ٢٧١ ميلادية أربع حكومات أخذت

تنازع حكومة سبأ الشرعية السلطان وهذه الحكومات هى:

١ – حكومة بنى بتع وعاصمتها مدينة حاز وتشمل مدينة (حُقَّة) ومخلاف ومخلاف مأذن وحملان وبيت خولان. وأوّل من تولّى منهم ملك سبأ، كان فى سنة مائة وعشرين ميلادية. واستولى الهمدانيون سنة مائة وخمس وأربعين ميلادية على حكم تلك المنطقة وعرفوا باسم بنى بتع وهمدان.

٢ – الهمدانيون وعاصمتهم مدينة ناعط وكانت من مدنهم مدينة أكانط وذبيان التى على قمة جبل حضور بجبل النبى شعيب ومدد وحدقان. وأشهر ملك من ملوكهم تولى الحكم سنة مائة وستين، وظلّ الحكم فيهم حتى سنة مائتين ميلادية.

وهاتان الحكومتان من بنى حاشد بن همدان.

٣ – حكومة بنى جرة (ذى جرة) وهى ناحية سنحان ببلاد اليمن وكانت عاصمتهم فى حصن جبل كفن وهو فى الجنوب الغربى من خولان ويشاهَد ذلك الجبل من صنعاء. وهذه العاصمة على بعد خمسين كيلومتراً فى الجنوب الشرقى. وكانت صنعاء وغيمان من بلادهم. وأوّل من حكم منهم كان فى سنة ستين م. وظل الملك فيهم حتى سنة مائة وعشرين م. وانضموا إلى بنى مرثد بن يكيل بن همدان.

٤ – حكومة بنى مرثد بن يكيل، وكانت غربى بلاد همدان وبنى بتع وكانت عاصمتهم فى شبام أقيان. وكانت مدينة ريدة وشهر وعلان وكوكبان من بلادهم. وتولوا الملك فى سنة تسعين ميلادية حتى قبيل سنة مائتين وأربعين ميلادية واستولوا فى هذه الفترة على مدينة مأرب وبلاد حمير عدة مرات.

وكانت بعض الحكومات التى ذكرناها تحارب حكومة سبأ الشرعية بمساعدة الأحباش الذين احتلوا بعض سواحل اليمن من سنة ١٨٠ حتى سنة ٢١٥ م.

واحتلّوا ظفار عاصمة الحميريين فى ذلك الوقت أيضا غير أن الهمدانيين طردوا الأحباش من ظفار ومن سائر بلاد حمير. وظلّ الجزء الأكبر من ساحل البحر الأحمر تابعاً للجيش الحميرى وطردوا الأحباش من بلاد اليمن سنة ٢٢٥ م. كما كانت شرقى أفريقيا تابعةً لحمير فى ذلك الوقت أيضا. ومما يحسن ذكره أن دولة قتبان قضى عليها فى سنة ١٤٦ م على أيدى ملوك حضرموت.

وكانت حمير فى أول أمرها فى منطقة يافع أو سرو حمير (وهى من ضمن بلاد عدن الآن) وكانوا تحت حكم القتبانيين وثاروا عليهم واستقلوا بمنطقتهم فى نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الأول قبل الميلاد واستولوا على جنوبى تهامة ومنطقة الحجرية ورعين وذمار وقاع جهران فى الشمال واتخذوا ظفار عاصمة لهم وبنوا فيها حصن ريدان فى أثناء غزو الرومان لسبأ تحت قيادة القائد الرومانى إليوس جالوس سنة ٢٤ ميلادية وانتزعوا ميناء (قنأ) من حضرموت فى نفس ذلك الوقت أو بعد ذلك بقليل.

والظاهر أنه بعد ذلك فى وقت غير معروف هزم الحميريون السبئيين فى مأرب واستولوا عليها، وطبقاً للسنين السبئية الدينية والسياسية التى نشأت فى وقت قديم جدًّا وتأصلت فى البلاد أضاف ملك حمير المنتصر اسم سبأ إلى لقبه الملكى وجعل سبأ قبل لقب ذى ريدان الذى كان يلقب به دائما.

وطارد بعض أقيال (حكام أو أمراء) جبال اليمن الحميريين حتى خارج مأرب وولّوا ملك سبأ السابق أو شخصاً من أسرته على مملكة سبأ وتلقّب ذلك الملك أيضاً بلقب ملك سبأ وذى ريدان. ولم يتخلّ ملوك حمير فى عاصمتهم ظفار عن هذا اللقب.

وتُحدثنا النقوش أن ملكاً حميريًّا استولى على مأرب سنة ١٢٦ ميلادية وكذلك فى سنة ٢٠٧ وخضعت البلاد اليمنية من سنة ٢٦٦ حتى سنة ٤٥٦ لملوك حمير

ولقبوا سنة ٣٠٦ باسم ملوك سبأ وذى ريدان وحضر موت ويمنت والمقصود بيمنت هو جنوبى حضر موت، ولقبوا سنة ٤٠٦ بملوك سبأ وذى ريدان وحضر موت ويمنت وأعرابهم فى تهامة والجبل، والمقصود بالجبل هو جبل بلاد عسير وما يعلوها.

ومما يحسن ذكره أنه يقال إنه فى المدة الواقعة بين سنتى ٣٦٦، ٣٤٦ احتل ملك من ملوك الحبشة جزءًا من بلاد اليمن ولقب بألقاب ملوك سبأ. ودخلت المسيحية بلاد اليمن فى القرن الرابع الميلادى وبنيت كنيسة فى ظفار وأخرى فى عدن. وتهوّد أحد التبابعة الذى زار مكة وكسا الكعبة واتجه إلى المدينة حيث تهوّد على أيدى أحبار يهود يثرب. ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن يقال إن ملكا من ملوك الحيرة اسمه امرؤ القيس بن عوف اشتبك فى حرب مع الملك البكيلى إلشرح يحضب الثانى وأخيه يإزل باين وحارب هذان الملكان قبيلة كندة لأنها ساعدت امرأ القيس وكذلك الحميريين والأحباش وذلك فى سنة ٢٠٧ م. كما يقول العالم الدكتور فيسمان. ونعرف أيضا من النقوش النبطية أن امرأ القيس ابن عمرو ملك العرب كلها حارب الملك شمر يهرعش وطارده حتى نجران وقد قال الدكتور فيسمان إنه الملك شمر يهرعش الثالث الذى حكم هو وأبوه من سنة ٢٨١ ميلادية وبعد وفاة والده حكم منفردا سنة ٣٠٠ م. وكانت غزوة امرئ القيس حوالى سنة ٣١٥ م.

ومما نذكره أيضا أن مأرب فقدت فى عصر الحميريين مكانتها كعاصمة لمملكة سبأ إذ حلّت محلها ظفار عاصمة الحميريين، وأخذت الأعراب تغير عليها وتهدد مأرب بالغزوات المتتالية عليها وأهمل شأن سد مأرب، ولما انكسر السدّ لثالث مرة أو رابع مرة فى أيام الملك شرحب إيل يعفر بن أبى كرب أسعد سنة ٤٥٦ أمر الملك بإصلاح السد وألزم عشرين ألف رجل بالعمل لإصلاح السد. وانكسر السد الخامس مرة سنة ٥٤٨ م وأصلحه أبرهة الحبشى أيضا. أما انكسار السد

للمرة السادسة وهو الانكسار الأخير المذكور فى القرآن الكريم فإننا لا نعرف تاريخه تماما ويقال إنه حدث سنة ٥٧١ ميلادية.

ومما يحسن ذكره عن السد أن العلماء درسوا آثاره فتبين لهم أنه كان يروى أكثر من أربعة آلاف فدان وأن محرم بلقيس والمنطقة المحيطة به هى الجنة التى عن يمين وادى ذنة، كما كانت مدينة مأرب الحالية والمنطقة المحيطة بها هى الجنة التى عن شمال الوادى وهاتان الجنتان هما الجنتان المذكورتان فى القرآن الكريم. وظهر للعلماء من دراسة السد أيضاً أن بناءه تمَّ فى عدة مراحل تاريخية مختلفة كما يظهر ذلك من النقوش المكتوبة على السد وكذلك من تصميمات بنائه ومن فتحاته الموجودة آثارها حتى اليوم.

ونختتم هذا القول بذكر تاريخ بعض الأحداث السابقة لظهور الإسلام كما يظهر ذلك من نقوش وجدت فى نجران وفى شمالها، وقد شاهد هذه النقوش ووجدها جون فيلبى وريكمانس فى الرحلة التى تمت فى شتاء سنة ١٩٥١/١٩٥٢، وهذه الأحداث هى كما يلى:

١ – قام الملك معدى كرب يعفر فى سنة ٥٢٢ بغزوة فى وسط الجزيرة العربية.

٢ – ارتقى يوسف ذو نواس العرش سنة ٥٢٢/٥٢٣.

٣ – غزى نجاشى الحبشة سنة ٥٢٣ بلاد اليمن، وهى الغزوة الأولى فى ذلك الوقت.

٤ – هاجم الحميريون الأحباش فى ظفار سنة ٥٢٣/٥٢٤.

٥ – اضطهد المسيحيون فى اليمن سنة ٥٢٤، ودمرت مدينة المخا وكنيستها.

٦ – أعد نجاشى الحبشة سنة ٥٢٤/٥٢٥ أسطوله لغزو اليمن.

٧ – غزا الأحباش بلاد اليمن للمرة الثانية سنة ٥٢٥ م. ومات ذو نواس ملك حمير وتولى سميفع أشوع ملك اليمن.

٨ – مات سميفع أشوع حوالى سنة ٥٢٥ م. وتولى أبرهة السلطة فى البلاد، وقام بغزوته الأولى للانتقام من الخارجين عليه.

٩ – قام بغزوته الثانية حوالى سنة ٥٣١ م. وانتهت عمليات الدفاع فى بلدة ماوية.

١٠ – وصول السفراء إلى مأرب سنة ٥٤٨ م.

١١ – الانتهاء من ترميم سدّ مأرب حوالى سنة ٥٤٨ م. وكتب أبرهة فى تلك السنة نقشه الكبير على السد.

١٢ – سار أبرهة إلى مدينة مورجان الواقعة على بعد مائة كيلو متر جنوبى مأسل جمح وشمال غربى نجران بمسافة ١٨٦ كيلو مترا. وقام بغزوته الرابعة ضد قبائل معد سنة ٥٥٣ م.

وما سبق أن ذكرناه هو أهم النتائج التى توصل إليها العلماء فى السنين الأخيرة حتى سنة ٥٦٥ م. ويذهب العلماء إلى أن الصراع بين الأحباش واليمنيين وبين ذى نواس الحميرى والمسيحيين ما هو إلّا مظهر من مظاهر النزاع بين بيزنطة وفارس، فغزوة امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها لبلاد اليمن فى القرن الرابع ما هى إلّا محاربة للفرس، كما يقال للحميريين الممالئين للأحباش والبيزنطيين واضطهاد ذى نواس المتهود للمسيحيين فى نجران ما هو إلّا مظهر من الصراع بين الفرس والبيزنطيين، وكذلك دخول الأحباش اليمن سنة ٥٢٥ وطرد الأحباش من اليمن بواسطة الفرس سنة ٥٧٠ م. ونختم هذا القول بذكر حقيقة علمية هامة هى أن مأرب أخذت تفقد مكانتها كعاصمة للدولة السبئية يوم أن أخذ

الاستعمار يطمع التى كانت حكومة سبأ تقوم بنقلها إلى شمال الجزيرة العربية وبلاد البحر الأبيض المتوسط وعندما سيطر الرومان على الطريق البحرى فى القرن الأوّل الميلادى تدهورت الحالة الاقتصادية للبلاد وضعفت حكومة مأرب وقامت حكومات مختلفة فى جبال اليمن وأخذت تستولى من حكومة سبأ على السلطة تدريجيًّا وذلك فى نهاية القرن الثالث الميلادى إذ قام الحميريون بالاستيلاء على مملكة سبأ وتتوج زعماؤهم ملوكًا على سبأ وعلى كل جنوبى بلاد العرب، ودخلت المسيحية فاليهودية فى القرن الرابع الميلادى فى بلاد اليمن واعتنق بعض ملوكهم المسيحية أو اليهودية وأصبحت ظفار عاصمةً للحكومة السبئية منذ القرن الرابع الميلادى وظلت كذلك حتى دخول أبرهة الحبشى بلاد اليمن فصارت صنعاء عاصمة اليمن.

ويرى دكتور فيسمان أن قبيلة كندة كانت موجودة فى القرن الأوّل قبل الميلاد أو فى القرن الأوّل الميلادى وكانت مرتبطةً بقبيلة مذحج وعاشت فى المنطقة التى حول الأفلاج وهى تقابل بلاد العارض فى وسط البلاد النجدية إلى الشرق تمامًا من مدينة الرياض وجبالها مشهورة قديماً وحديثًا وأهمها سلسلة جبال الطويق وسلسلة العرمة عند الجغرافيين العرب، ويظن أن قبيلة مذحج كانت القبيلة الرئيسية لملك كندة وربما كانت كندة العشيرة الملكية لقبائل مذحج وطردها امرؤ القيس من بلادها فى الشمال حوالى سنة ٢٩٣ أو سنة ٣٠٠ ميلادية، وسارت مع شمر يهرعش الثالث إلى جنوب بلاد العرب. وأصبحت القسم الرئيسى فى جيش الملك. وأقام الملك الحميرى أبو كرب أسعد وابنه سلطة مملكة كندة فى الشمال فى أوائل القرن الخامس.

ومما يجدر ذكره أنه وجد نقش يمنى فيه أن جيوش شمر يهرعش الثالث حاربت فى شمال غربى الأحساء وغزت القطوف وكوكبان التابعتين للفرس وأرض تنوخ

وهى فى شمال الأحساء ويرى فون ڤيسمان أنها منطقة الأحساء الحالية بواحتيها الخصيبتين الهفوف والقطيف.

ويقال إن شمر يهرعش كانت له علاقة طيبة مع الفرس، أما امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلها صاحب نقش المنارة فقد خرج من جانب الفرس سنة ٢٩٣ وانضم إلى الروم وقام بحروبه الكبيرة فى وسط الجزيرة العربية حتى وصل إلى أبواب مدينة نجران وذلك باتفاق مع الروم. وهذا الرأى الذى ذكرناه يخالف ما سبق أن ذكرناه أن شمر كان ممالئًا للروم بينما كان امرؤ القيس الذى غزا الجزيرة العربية ووصل إلى نجران ممالئًا للفرس.